

خطبة الجمعة - الخطبة ٣٧٠ : خ١ - علامات معرفة الله ، خ٢ - الفرض الحسن.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٩-٦-٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحده، ونستعين به ونسترشده، ونحوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته، ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا احتيابه، واجعلنا من يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أصل الدين معرفة الله جل جلاله :

أيها الأخوة الكرام؛ أصل الدين معرفة الله جل جلاله، و الله جل جلاله يُعرف من خلقه بالتفكير، قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لَّأُولَئِكَ الْأَلْبَابُ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِتَّا عَذَابَ النَّارِ﴾

[سورة آل عمران: ١٩١-١٩٠]

يُعرف الله عز وجل من خلال خلقه بالتفكير، و يُعرف من خلال كلامه بالتدبر، قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا﴾

[سورة محمد: ٢٤]

و يُعرف من أفعاله بالنظر، قال تعالى:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾

[سورة الأنعام: ١١]

أفعاله تدل عليه، و خلقه يدل عليه، و كلامه يدل عليه، و أصل الدين معرفة الله عز وجل. يقول الله جل جلاله:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيَ الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَمَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾

[سورة المائدة: ٨٣]

الحقُّ يُعرفُ، وَ أَصْلُ الدِّينِ أَنْ تَعْرِفَ الْحَقَّ، وَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ.
يَا أَيُّهَا الْأَخْوَةُ الْكَرَامُ :

كُلُّ يَدْعُونِي وَ صَلَّى بَلِيلِي وَ لِيلِي لَا تَقْرُّ لَهُمْ بِذَاكِرَةٍ

كُلُّ إِنْسَانٍ يَدْعُونِي أَنْهُ عَرَفَ اللَّهَ، فَمَا عَالَمَ مَعْرِفَةً اللَّهِ؟ هَذَا هُوَ مَحْورُ الْخُطْبَةِ، مَا عَالَمَ مَعْرِفَةً اللَّهِ؟

علامات معرفة الله عز وجل :

١ – من ازدادت معرفته بالله ازدادت هيبيته منه :

العلماء قالوا: من علامات معرفة الله حصول الهيبة منه، فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبيته، أنت تهاب الله عز وجل، و تخشاه، و تقف عند أمره و نهيه بقدر معرفتك به، فإذا كان هناك خلل في الطاعة، و خلل في الالتزام، فهذا من نقص المعرفة بالله عز وجل، لأنه من عرفه زهد فيما سواه، و من عرفه أطاعه و من عرفه أحبه.

المعرفة بالله أيها الأخوة توجب السكون، فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته، هذه السكينة مصطلح قرآني، سماها إن شئت نوراً يقذفه الله في قلبك، يريك الحق حقاً و الباطل باطلأ، أو سماها طمأنينة تتنزل على قلبك، أو سماها سعادة تملأ جوانح قلبك، سماها ما شئت، هي عطاء الله عز وجل، هي رحمة الله، فمن ازدادت معرفته بالله ازدادت سكينته، فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِّنْ كُرْبَ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِّنْ كُرْبَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسِّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَرَّ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنَ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنَ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِّنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُوُنَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَدَارِسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَّلْتَ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةَ وَغَشِّيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَا عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسْبَهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

من علامات المعرفة بالله أن يأنس قلبك بالله، و أن يحس بقربه من الله، من كان الله أعرف فهو له أخوف، رأس الحكمة مخافة الله، إذا شبّهت الحكمة بـإنسان رأسه أن تخاف الله، و النبي عليه الصلاة و السلام أخو福ُ الخلق الله عز وجل، بل إن من مقتضيات الخوف أن تخاف أن ينقطع

اتصالك به، فاحرصوا على طاعته، واحرصوا على تنفيذ أوامره خوف انقطاعكم عنه، وأن الذي ذاق حلاوة القرب يحفظ هذا القرب مهما بلغ الثمن، فمن كان بالله أعرف كان له أخواف ومصدق ذلك قول الله عز وجل:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾

[سورة فاطر: ٢٨]

وإنما "أداة حصر وقصر، العلماء وحدهم الذين يعرفون الله هم وحدهم الذين يخشونه، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾

[سورة فاطر: ٢٨]

و في حديث عائشة قالت:

(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمْرَهُمْ، أَمْرَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ قَالُوا إِنَّا لَسَنَا كَهِينِتَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخَرَ؟ فَيَغْضِبُ حَتَّى يُعْرَفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ يَقُولُ: إِنَّ أَنْقَاصَكُمْ وَأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ أَنَا)

[البخاري عن عائشة]

إذا استتبِطْ أنه كلما ازدادت معرفتك ازدادت خشيتُك، كلما ازدادت معرفتك ازدادت محبتُك، كلما ازدادت معرفتك ازدادت هيبيتك من الله عز وجل.

٢ - من عرف الله ضاقت عليه الدنيا بسعتها :

ومن دلائل معرفة الله أنه من عرف الله ضاقت عليه الدنيا بسعتها، يضيق عليه كل مكان، ولا يساعدك على شأنه ومطلوبه، مطلبُه عظيم، فإذا وجِد في مكان لا يعينه على القرب من الله ضاق عليه المكان، ولو كان واسعاً، فمن عرف الله عز وجل ضاقت عليه الدنيا بأكملها، ومن عرف الله عز وجل اتسَع عليه كل ضيق، لو جلس في غرفة قميئه، في بيت مظلم، في غرفة تحت الأرض، إذا كان اتصاله بالله متيناً خرج من المكان إلى رحاب الكون، هذه علامة دقيقة، تبدو وكأنها متناقضة، من عرف الله ضاقت عليه الدنيا بسعتها، ومن عرف الله اتسَع عليه كل ضيق، ومن عرف الله صفا له العيش، لا تقولون: اللهم صل على أسعدنا، إنه أسعد الخلق قاطبة، أبيب عند ربي يطعمني ويسقيني، من عرف الله صفا له العيش، وطابت له الحياة، وهابه كل شيء، وذهب عنه خوف المخلوقين، وأليس بالله عز وجل، خوف المخلوقين شيء يحطم الأعصاب، خوف المخلوقين يهزم الكيان، الذي يعرف الله عز وجل نجا من أكبر مشكلة يعانيها البشر، خوف المخلوقين، من عرف الله عز وجل صفا له العيش، وطابت له الحياة، وهابه كل شيء، وذهب عنه خوف المخلوقين، وأليس بالله عز وجل، ومن عرف الله فرت عينه بالله، وقررت عينه بالموت الذي هو عند الناس أكبر مصيبة، لأن الموت: غداً نلقى الأحبةَ مهداً وصحبه ، لأن

الموت عرسه، ولأن الموت تحفته، ولأن الموت يلقى به ربّه، ولأن الموت يقطف ثمار طاعته في دنياه، لذلك عن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري أنَّه كان يُحدِّث ((أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْجِعٌ مُسْتَرِّيٌّ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِّيُّ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِّي مِنْ نَصْبِ الدُّنْيَا وَأَذَّاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِّي مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُ))

[البخاري عن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري]

قيل له: يا رسول الله ما مستري و ما مستراح منه ؟ قال: فلما العبد المؤمن إذا مات استراح من عناه الدنيا، إذاً الذي يعرف الله قررت عينه بالله، إذا كانت عيون أهل الدنيا قد أقررت بدنياهم، فإن المؤمن تقر عينه بالله، فمن عرف الله قررت عينه بالله، وقررت عينه بالموت، وقررت به كل عين، لأنَّه موصول، ومadam موصولاً صار مؤنساً، صار قريباً من الله عز وجل، قررت به كل عين، ومن لم يعرف الله تقطع قلبه بالدنيا حسرات، إذا فاتته الدنيا فاته مالها، وفاتته شهواتها، يتقطع قلبه حسرات عليها، لأنَّه ما عرف الله عز وجل، و من عرف الله لم يبق له رغبة فيما سواه، ومن عرف الله زهد فيما سواه.

إذا وضعت أمام طعام قديم فاسد بعض الشيء تأكل قليلاً و هذا لا يسمن و لا يغني من جوع، ثم رأيت طعاماً آخر نفيساً، هذا الطعام يزهـدك في الطعام الخشن، و من ادعى معرفة الله وهو راغب في غيره كذبت رغبته معرفته، ومن ادعى معرفة الله وهو راغب في غيره كذبت رغبته معرفته.

٣ – من عرف الله أحبه على قدر معرفته به وخافه وتوكل عليه :

و من عرف الله أيها الأخوة أحبه على قدر معرفته به، وخافه، ورجاه، وتوكل عليه، وأناب إليه، ولهج بذكره، واشتاق إلى قربه، واستحيا منه، وعظمته، هذه علامات معرفة الله، ومعرفة الله أصل الدين، أصل الدين أن تعرفه، وإنك إن عرفت الله عرفت كل شيء.

٤ – من عرف الله رآه في كل شيء :

يا أيها الأخوة الكرام؛ من علامات معرفة الله أن تشهدَه في كل شيء، أن ترى الله في كل شيء، يا أيها الأخوة الكرام حينما تستمع إلى النشرة الجوية لا ترى أن منخفضاً متمركزاً فوق هذه الجزيرة متوجهاً نحو هذا القطر، ترى أن رحمة الله قد أنت، حينما ترى الشمار يانعة لا ترى أن هذا من فعل السماد، هذا من كرم الله عز وجل، أي نظرة تتظر إليها تراها نعمة الله عز وجل، كرماً من عند الله عز وجل، أي حدث تستمع إليه تراها من فعل الله، وقد أراده الله، وإرادة الله لها حكمة مطلقة، ترى الأشياء كلها من خلال التوحيد، أنت تتضرع بين التوحيد فترى أن يد الله

تعمل وحدتها، وأن الله عز وجل في السماء إله، وفي الأرض إله، وأنه إليه يرجع الأمر كلُّه، وببيده ملکوت السموات والأرض، قال تعالى:

﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكٌ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْغَرِيبُ
الْحَكِيمُ﴾

[سورة فاطر: ٢]

٥ - من عرف الله انحلّ علاقه بالناس :

أيها الأخوة الكرام؛ من عرف الله انحلّ علاقه بالناس، لا انحلال عدم، ولكن انحلال توحيد، تعلق بالله وحده، ويعامل الناس، ويشكرهم، ويحسن إليهم، ويتقي شرهم، ولكن قلبه متعلق بالله وحده، إنه كالمسافر، فحينما تزمع السفر صرت وأنت لا تشعر في بلد السفر، كل شيء تفكّر فيه لرحلتك، ولهذا.

قيل لأحد العلماء: إن أقواماً يدعون المعرفة يقولون: إنهم يصلون إلى الله بتترك الحركات والعبادات، فقال هذا العالم: هؤلاء أقواماً تكلّموا بإسقاط الأعمال، وهو شيء عظيم، و الذي يسرق، ويزني أحسن حالاً من هؤلاء، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بيدي و بينها.

٦ - من عرف الله لا يطلب ولا يخاصم ولا يعاتب :

أيها الأخوة الكرام؛ من علامات العارف بالله ألا يطلب، ولا يخاصم، ولا يعاتب، ولا يرى له على أحد فضلاً، ولا يرى على أحد له حقاً، هو يعامل الله عز وجل، ولا يتأنّث بردود فعل الناس، شكروه أو لم يشكروه، قدّروا عمله أو لم يقدّروا، لأنّه مخلص الله عز وجل، يخرج العارف بالله من الدنيا، ولم يقض وطرا من شيئاً؛ بكاء على نفسه، وثناء على ربّه، ولم يشتعل عن الله بشيء طرفة عين، ولكنه قد يشتغل بغيره لأجله، قد يطلب العلم ليعلم الناس، قد يسعى لكسب المال ليحسن إلى الناس، وقد يسعى إلى مركز قويٍّ لينصف الضعفاء، إن اشتغل عن الله فللّه، أمّا أن يشتغل عن الله لغيره سهواً و لهواً فهذا مستحيل على من عرف الله.

٧ - من عرف الله استأنس به واستوحش ممن يقطعه عنه :

أيها الأخوة الكرام؛ الذي يعرف الله عز وجل يستأنس بربّه، ويستوحش ممن يقطعه عنه، لذلك لا يصاحب إلا مؤمناً، يستأنس بمن يقربه من الله، ويستوحش من يبعده، وهذه حقيقة خطيرة، في جلساتك، وفي لقاءاتك، وفي نزهاتك، وفي اجتماعاتك، وفي ندواتك، وإذا جلست مع قومٍ فأخذوا بيديك إلى الله فالزّهم، أما إذا جلست مع قوم أبعدوك عن الله فاتركهم، راع هذه الحقيقة.

الذى يعرف الله أليس بالله، فاستوحش من الخلق، و افتقر إلى الله فأغناه عنهم، و ذل الله فأعزه فيهم، و تواضع الله فرفعه بينهم، و استغنى بالله فأحوجهم إليه، والذي يعرف الله عز وجل تراه مصليناً، و تراه ذاكراً، و تراه قارئاً، و تراه معلماً، و تراه مجاهداً، و تراه حاجاً، و تراه مساعداً للضعف، و تراه مغيثاً للملهوف، يضرب بكل غنية من الغائم بسمهم، فهو مع المتعلمين متعلم، و مع الغرزاة غازٍ، و مع المصلين مصلٍّ، و مع المتصدقين متصدقٌ، أي يسلك كل الطرق الموصولة إلى الله عز وجل، إن في العبادات، وإن في المعاملات، وإن في الآداب.

٨ - من عرف الله لا يعتقد شيئاً مخالفًا للشرع :

الذى يعرف الله عز وجل لا يعتقد باطناً من العلم ينقضه ظاهرٌ من الحكم، لا يعتقد شيئاً مخالفًا للشرع، مخالفًا لما هم عليه أهلُ السنة الجماعة، مخالفًا لما في الكتاب و السنة، اعتقاداته كلها موافقةٌ لما في الكتاب و السنة، هو منهجه، و الذي يعرف الله عز وجل لا يعتقد باطناً من العلم بشيءٍ يخالف ظاهر الحكم، و هذه علامةٌ دقيقة، هو مع المنهج، و هو مع الطريق المستقيم، و هو مع المنهج القويم، هو متمسكٌ بالحبل المتيّن، و هو معتصِمٌ بسنة رسوله صلى الله عليه و سلم، بعضُ الجهلة قالوا: الذي يعرف الله تضره الذنوب كما تضرُّ الجاهل، و هذا من أعظم المكر، لأنَّه إذا عُوقب الجاهل ضعفاً عُوقب العارفُ ضعفين، و دليلاً قوله تعالى:

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنْ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعِفُ لَهَا الْعَذَابُ ضَعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾

[سورة الأحزاب: ٣٠]

دائماً أهلُ القدوة يُحاسبون مررتين؛ مررت عن أنفسهم و مررت عن اقتدي بهم، كل إنسان تتعدّد العيون إليه، وتتحطّلُ الأ بصار عليه، يجب أن يكون قدوةً، فإذا أحسن فله أجران، و إذا أساء فعليه ضعفُ العذاب، سيدتنا عمر كان إذا أراد إيفادَ أمرٍ جمع أهله و خاصته و قال: إني قد أمرت الناسَ بكذا و نهيتُهم عن كذا، و الناسُ كالطير إن رأوكم و قعمُ و قعوا، يقول: و ايم الله لا أُوتَنَّ واحداً وقع فيما نهيتُ الناسَ عنه إلا ضاعفتُ له العقوبة لمكانه مني.

٩ - من عرف الله انتقل من الشك إلى اليقين :

الإنسانُ إذا عرف الله انتقل من الشك إلى اليقين، قال تعالى:

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾

[سورة التكاثر: ٧٥]

يعيش في اليقينيات، و لا يعيش في الشبهات، ينتقل من الرباء إلى الإخلاص، يرأى من؟ هذا الذي يرائيه لا يملك له نفعاً و لا ضرراً، الذي يعرف الله ينتقل من الغفلة إلى الذكر، و من أشدّ

الأمراض التي نفتك بال المسلم أن يكون غافلاً عن الله، و أما أن يكون ذاكراً الله فهذا من نعم الله العظمى.

١٠ - من عرف الله انتقل من الرغبة في الدنيا إلى الرغبة في الآخرة :

الذى يعرف الله عز وجل ينتقل من الرغبة في الدنيا إلى الرغبة في الآخرة، ويجعل الآخرة محطة رحاله، ومتنهى أمله، ولا يعبأ بالدنيا، أما إذا قلت معرفته كانت الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه، وقد وصف الله عز وجل أهل الكفر فقال تعالى:

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾

[سورة الروم: ٧]

أتم الناس معرفة بالله من عرفه بالكمال و الجلال و الجمال :

يا أيها الأخوة الكرام؛ من أعز أنواع المعرفة أن تعرف الله سبحانه و تعالى بالجمال وهو معرفة خواصِّ الخلق، كل المؤمنين عروه بصفة من صفاته، أتمّهم معرفةً من عرفه بالكمال و الجلال و الجمال، قال تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

[سورة الشورى: ١١]

في سائر صفاتة، ولو فرضتَ الخلقَ كُلَّهُمْ على أجمل صورة فهم على تلك الصورة، ونسبة جمالهم الظاهر والباطن إلى جمال ربِّ كان أقلَّ من نسبة سراج ضعيف إلى قرص الشمس، فالذين عروه أحبوه، و الذين عروه باعوا أنفسهم له، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايِ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[سورة الأنعام: ١٦٢]

ويكفي في جماله ما ورد في صحيح مسلم عن أبي موسى قال:

((قامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرِ النَّارِ لَوْ كَشَفْتُ لَأَحْرَقْتُ سُبُّحَاتٍ وَجْهِهِ مَا انتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ))

[مسلم عن أبي موسى]

ويكفي في جماله أن له العزة جميع إن أردت أن تكون عزيزاً فكن مع العزيز:
اجعل لربك كل عزك يستقر ويثبت فإذا اعترضتَ بمن يموت فإن عزك ميت

وأن الله العزة جميماً، والقوّة جميماً، وله الجود كله، وله الإحسان كله، وله العلم كله، وله الفضل كله، ولنور وجهه أشرقت الظلمات، أعود بنور وجهك الذي أشرفت له الظلمات وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة ، وسيدنا ابن مسعود رضي الله عنه يقول : ليس عند ربكم ليل ولا نهار، نور السموات والأرض نور وجهه، فهو سبحانه وتعالى نور السموات والأرض .

وفي صحيح مسلم أيضاً عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِنْقَالٌ ذَرَّةٌ مِنْ كِبْرٍ قَالَ رَجُلٌ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبَهُ حَسَنًا وَنَعْلَهُ حَسَنَةً قَالَ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكَبِيرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ)**

[مسلم عن عبد الله بن مسعود]

وقد قال العلماء: هناك جمال الذات، و هناك جمال الصفات، وهناك جمال الأفعال، أسماؤه كلها حسنى و صفاته كلها فضلى، وأفعاله كلها حكمة وعدل ورحمة.

توجه الإنسان إلى الله انطلاقاً من حبه لنفسه و لوجوده و لكمال وجوده :

أيها الأخوة الكرام ؛ خاتاماً لهذا الموضوع دققاً في هذه الكلمات؛ من أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه، ومن أعجب الأشياء أن تسمع داعيه ثم تتأخر عن الإجابة، و من أعجب الأشياء أن تعرف الربح في معاملته ثم تعامل غيره، و من أعجب الأشياء أن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له، و من أعجب الأشياء أن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأنس في طاعته، ومن أعجب الأشياء أن تذوق عثرة القلب عند الخوض في حديثه والحديث عنه، ثم لا تشتق إلى انشراح الصدر بذكره ومناجاته، ومن أعجب الأشياء أن تذوق العذاب عند تعلق القلب بغيره، ولا تهرب منه إلى نعيم الإقبال عليه، وأعجب من هذا علمك أنك لابد لك منه، و أنت أحوج شيء إليه، وأنت عنه معرض فيما بينك وبينه.

أيها الأخوة الكرام ؛ أصل الدين معرفة الله، القضية أزمة علم فقط، لأن أهل النار وهم في النار ماذا يقولون ؟ قال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعْيِ﴾

[سورة الملك: ١٠]

لأن الإنسان يحب ذاته، و يحب وجوده، و يحب سلامته وجوده، و يحب كمال وجوده، و يحب استمرار وجوده، فإذا عرف أن كل سعادته بالله، وأن كل أمنه بالله، وأن كل سلامته بالله، وأن كل فوزه بالله، وأن كل مصيره بالله عز وجل، توجه إلى الله وحده، و ما تعلم العبيد أفضل من التوحيد.

إن أردت تمثيلاً لما يجري في العالم اليوم ؛ طفل صغير شبعه مع أمّه و ربيه أن يكون مع أمّه، و أمنه أن يكون مع أمّه، و سعادته أن يكون مع أمّه، و نظافته أن يكون مع أمّه، و مأواه أن يكون مع أمّه، و كل شيء يسعده ينبغي أن يكون من أمّه، فإذا ترك يد أمّه و تاه، ما الحكمة أن

نفعل مع هذا الطفل الشارد ؟ أن نسوقه إلى أمه، و عجب ربّك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلسل. إما أن تأته طائعاً، وإما أن يتفضل الله علينا فيسوقنا إلى بابه، الأولى أشرفُ و الثانية ضرورية، قال تعالى:

﴿وَلَذِيقَتْهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنِي دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لِعَاهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[سورة السجدة: ٢١]

القضيةُ أيها الأخوة قضية أن الله عز وجل خلقنا لنعرفه، و خلقنا ليسعدنا، و خلقنا ليرحمنا، و خلقنا لجنة عرضها السموات والأرض، فإذا التقينا إلى الدنيا وانعمتنا فيها، و آثرنا دنيانا على آخرانا، من رحمة الله بنا أن يسوق لنا الشّدائِد يحملنا بها على أن نتّصل به، فالبطولةُ أن نتّصل به من تلقاء أنفسنا، و أن نتّصل به راغبين، و أن نقبل عليه راجين.

أشد الناس حسرة يوم القيمة من غفل عن الله في الدنيا :

أيها الأخوة الكرام ؛ قال بعض الأدباء: قد تقرأ قصة سخيفة تقرؤها، وتتنتاب، و تتّنام، و لكن قد تقرأ موضوعاً خطيراً، تنتهي من قراءته فتبداً متاعبك، و الكلام الذي يُسعدنا ينبغي أن يكون خطيراً، ينبغي أن تعرف لماذا أنت في الدنيا؟ أنت في الدنيا لمهمة كبيرة كبيرة، أنت في الدنيا من أجل أن تعمل عملاً تستحق به الجنة، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَبِيبُونَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[سورة النحل: ٣٢]

لذلك أشد الناس حسرة يوم القيمة من غفل عن الله في الدنيا.
يا أيها الأخوة الكرام ؛ ففرروا إلى الله جمِيعاً، يا أيها الأخوة الكرام اصطلحوا مع الله، يا أيها الأخوة الكرام راجعوا كل حساباتكم، اجريدةوا كل عقائدكم، ينبغي أن تكون تصوراتكم و عقائدكم ومنهجكم في الحياة وفق منهج الله عز وجل، السعادة هدف كل إنسان، السلام و السعادة هدف كل مخلوق على وجه الأرض، و لا شيء يسلّمك من متابعتك إلا أن تكون مستقيماً.
أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا، و زنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، و اعلموا أن ملك الموت قد تخططنا إلى غيرنا، و سيتخطى غيرنا إلينا، فلنتحذّذ حذرتنا، الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت، و العاجز من أتبع نفسه هوها، و تمنى على الله الأماني.

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولِي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صلّ وسلام وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

القرض الحسن :

أيها الأخوة الكرام ؛ آية كريمة لو عرفها الإنسان حق المعرفة لتركتْ في نفسه أثراً بليغاً، الآية الكريمة قال تعالى:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

[سورة البقرة: ٢٤٥]

قال علماء التفسير: إن أي عمل صالح مهما دق في عينك ومهما كبر، معنوياً كان أو مادياً، كلمة طيبة أو درهماً تتفقه، أي عمل صالح لأي مخلوق كائن من كان، الآية شاملة جداً، أي عمل صالح لأي مخلوق كائن من كان، سواء أكان هذا العمل دقيقاً أم جليلاً، مادياً أو معنوياً هذا يُعد عند الله قرضاً له، أنت أفرضتَ الله، أفرضتَ هذه الكلمة الطيبة لأخيك، أفرضتَه هذا المبلغ الذي أعتنت به أخاك، أفرضتَه هذه المعاملة الطيبة لزوجتك، أفرضتَه تربية أولادك، أفرضتَه النصح للMuslimين، أفرضتَه خدمة المسلمين، أفرضتَه نشر الحق، أي عمل عظيم بدءاً من أن تُميّط الأذى عن الطريق إلى الدعوة إلى الله التي هي صنعة الأنبياء، كل هذه الأعمال دقيقة وجليلها، قربتها و بعيدتها، ماديتها و معنوتها هي عند الله قرض حسن له، قال تعالى:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

[سورة البقرة: ٢٤٥]

لو أن هذا المعنى استحضرناه دائماً، ولو أنك أطعمنَ هرَّةَ إنه قرض الله عز وجل، ولو رحمتَ حيواناً إنه قرض الله عز وجل، ولو واسيتَ أخاك بكلمة طيبة، ولو عدتَ مريضاً، ولو أنفقَتَ على أخيك الفقير، ولو واسيتَ أخاً لك في أي شيء، ولو نفسَتَ عن مؤمن كربلة من كرب الدنيا هي قرض حسن الله عز وجل، من هذا الذي يسمح الله له أن يقرضه؟ أمرنا أن نقرضه لنربح عليه، ولو أن ملكاً قال لأحد رعيته: أفرضني ليرةً وخذ مكانها مئة مليون، هذا قرض، هذا القرض الذي ينبغي أن نسعى إليه، أفرضني ليرةً وخذ مكانها مئة مليون، قال تعالى:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

[سورة البقرة: ٢٤٥]

أنت تقرض ملك الملوك، و عالم الغيوب، أنت تقرض الغني، القوي، أنت تقرض خالق السموات والأرض، قال تعالى:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

[سورة البقرة: ٢٤٥]

ورد في بعض الأحاديث: "إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم" المعاملة الطيبة قرض حسن، الزوج المثالي قرض حسن، والأب الرحيم بأولاده يقرض الله قرضاً حسناً، هذه الآية واسعة جداً واسعة إلى درجة لا تصدق، أي عمل صالح مع أي مخلوق في أي مكان، وفي أي زمان، في الليل والنهر، في إقبال الدنيا وإدبارها، في الصغير والكبير، هو قرض حسن الله عز وجل، والله عز وجل وعدنا أن يضاعفه لنا أضعافاً كثيرة، هذا قرض ربوي، ولكنه مسموح به، أن يضاعفه لنا أضعافاً كثيرة:

﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

[سورة البقرة: ٢٤٥]

ولكن العمل الصالح إذا بنيت عليه مفسدة، هذا ليس عملاً صالحاً، دع خيراً عليه الشرّ يربو، درء المفاسد مقدم على جلب المنافع، قد يقول لك أحدهم: أفرضني، ليرتكب معصية، أعوذ بالله، يجب أن يكون القرض حسناً، وقد يقول لك أحدهم: أعني، لتعينه على مخالفة، أعوذ بالله، أنت مسؤول أمام الله عز وجل، ينبغي أن تقرض الناس قرضاً يقربهم إلى الله، لا أن يبعدهم عنه، هذا الذي يطلب القرض الحسن ليستعين به على معصية ينبغي ألا تقرضه، هذه حقيقة، درء المفاسد مقدم على جلب المنافع، دع خيراً عليه الشرّ يربو.

فيما أليها الأخوة الكرام؛ الإنسان مخلوق للعمل الصالح، والإنسان حينما يأتيه ملك الموت لا يندم إلا على شيء واحد، قال تعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلَّيٍ أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾

[سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠]

فكأنك مخلوق في هذه الدنيا من أجل العمل الصالح، وبعد معرفة الله المعرفة التي تعينك على طاعته ليس أمامك إلا العمل الصالح ترقى به، وحجمك عند الله بحجم عملك الصالح، مصدق ذلك في قوله تعالى:

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوْقِيَّهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

[سورة الأحقاف: ١٩]

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، و عافنا فيمن عافيت، و تولّنا فيمن تولّيت، و بارك اللهم لنا فيما أعطيت، و قنا واصرف عنا شرّ ما قضيت، فإنك تقضي بالحق و لا يقضى عليك، وإنه لا يذر من وليت، و لا يعزّ من عاديت، تبارك ربنا و تعالیٰ، و لك الحمد على ما قضيت، نستغرك و نتوب إليك، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك، اللهم أعطنا و لا تحرمنا، أرضنا و ارض عنا، أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، و أصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، و أصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، و اجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، و اجعل الموت راحة لنا من كل

شِرٌّ، اللَّهُمَّ إِنَا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُوفِ إِلَّا مِنْكَ، وَمِنَ الْفَقْرِ إِلَّا إِلَيْكَ، وَمِنَ الذُّلِّ إِلَّا لَكَ، نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَصَالِ الدَّاءِ، وَمِنْ شَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، وَمِنِ السَّلْبِ بَعْدِ الْعَطَاءِ، مَوْلَانَا رَبُّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ كَمَا أَفَرَّتَ أَعْيْنَ أَهْلَ الدِّنِيَا بِدِنِيَا هُمْ فَأَفَرِّرْ أَعْيْنَنَا بِرِضْوَانِكَ يَا رَبُّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهُنَا بِالْيُسْرَارِ، وَلَا تَبْذِلْنَا بِالْإِقْتَارِ، فَنَسْأَلُ شَرَّ خَلْقَكَ، وَنُبَتَّلِي بِحَمْدِكَ مِنْ أَعْطَى، وَذَمَّ مِنْ مَنْعَ، وَأَنْتَ مِنْ فَوْقِهِ وَلِيُّ الْعَطَاءِ، وَبِيَدِكَ وَحْدَكَ خَزَائِنُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، اللَّهُمَّ بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ أَعْلَمُ كَلْمَةً الْحَقِّ وَالْدِينِ، وَانْصُرِ الْإِسْلَامَ، وَأَعْزِ الْمُسْلِمِينَ، وَخُذْ بِيَدِكَ وَلَا تَهُمُ إِلَيْهِ مَا تُحِبُّ وَتُرْضِي، إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ